أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس التاسع : إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

لابد للداعية أن يكون لديه وقود من العلم بالله والعلم بأمر الله، وكذلك غذاء ووقود من الرحمة لخلق الله والرفق؛ "إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إِلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شَيءٍ إِلَّا شانَه"

[أبو داود وأحمد وابن حبان]

لذلك إبراهيم عليه السلام كان نموذجًا لهذا الرفق، كان نموذجًا لهذه الرحمة؛ فكان رحيمًا بقومه، كان رحيمًا بأبيه، قال تعالى: {وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا} [مريم: ٤١، ٤٢]

استنقاذ الناس من براثن الجاهلية، من براثن الشرك، من براثن الضياع والتيه، وظلمات الخرافة والأساطير، وظلمات الوثنية، وظلمات الجهل.

لابد أن يكون لديك هذا الحماس، وهذا الشغف، وهذا الحرص.

قال تعالى: {لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٣]

قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: ٦]

قال تعالى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ} [فاطر: ٨]

هكذا شأن الداعية يحزن لفوات هداية الناس، يحزن لضلال الناس، يحزن لمعاصي الناس يحزن عليهم.

عن أَبي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا" [متفق عليه] هو يأخذ بحجزنا ﷺ، وكأنه يحول بيننا وبين النار قضيته كلها ألا ندخل النار فكيف يكون هذا الأمر مع أقرب الأقربين؟

قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ} [التحريم: ٦]

حب الأهل، حب الزوجة، حب الولد، حب الأب، حب الأم، حب الأرحام؛ لابد أن يترجم في دعوتهم إلى الله عزوجل، في دعوتهم بالرفق، واللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، ولكن القضية لا تكون حبًا من أجل الدنيا من أجل قضاء الأوطار، وحظوظ النفس، ووجود جو أسري دافئ؛ حتى ولو كان على عدم إقامة حدود الله عزوجل! لا؛ إنما القضية أن تحب في الله، وأن تبغض في الله، وأن توالي في الله، وأن تعادي في الله، وأن تعطي في الله، وأن تمنع لله حتى مع أقرب الأقربون، حتى مع أحب الأحباب إليك.

ينبغي أن تحب في الله، وتبغض في الله، فإن قلت: كيف هذا فإنها محبة جبلية؟

قال تعالى: {قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}[التوبة: ٢٤]

ينبغي أن يكون الله والرسول والجهاد في سبيل الله أحب إليك من أبيك، من أمك، من ابنك، من زوجك، من أخيك، من عشيرتك، من قبيلتك، من عائلتك، من وطنك، من مساكنك، من ملاعب الصبا، من الأموال، من التجارة، من كل شيء لا يقول لك الشرع: لا تحب هذه الأشياء أحبها؛ ولكن محبتهم مغلوبة مقهورة مسبوقة بمحبة الله، ومحبة رسول اللهﷺ، ومحبة الجهاد في سبيل الله، والبذل لله تبارك وتعالى.

فحين كانت المواجهة بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه آزر كانت مواجهة على وفق الحكمة، وعلى وفق الرحمة، على وفق الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، على وفق البرهان والقضية كلها في البرهان في الدليل، قال تعالى: {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا} [مريم: ٤٣] أنا لا أستعلي عليك ولا أريد أن تتبعني لأعلو عليك ولا لأتكبر عليك، قال تعالى: {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا} [مريم: ٤٣]

* القضية كلها لماذا نتبع الأنبياء والرسل؟

* لماذا نتبع العلماء؟

* لماذا نتبع الدعاة إلى الله عزوجل؟

نتبعهم على قدر ما معهم من العلم بالله، والعلم بأمر الله هذا إشارة إلى التابع وإلى المتبوع.

إشارة إلى التابع نقول: أيها الجماهير أيها الناس لا تتبعوا أحدا بلا دليل؛ إذا قال لكم هذا حلال وهذا حرام ما الدليل على هذا؟

هذا حق وهذا باطل ما الدليل على هذا ؟

هذه العقيدة الصواب وهذه العقيدة الخطأ ما الدليل على هذا؟ وكذلك في أمور الأحكام، في أمور الأخلاق، في أمور السلوكيات لابد من دليل لابد من برهان كما ذكرنا أدلة نقلية من قول الله ورسوله، وكذلك أدلة عقلية؛ فإن الشرع والدليل جاء بما تقبله العقول، وبما تقبله الفطر، وأقام لهذا وزنا قال أفلا تعقلون؟ أفلا تفقهون؟ وكذلك لعلهم يفقهون، لعلهم يعقلون إلى غير ذلك.

لابد من السؤال عن الدليل أيها التابع لا تتبع على ضلال، لا تتبع لأنه رئيسًا وكبرياء قال تعالى: {وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠} [الأحزاب: ٦٧] هو مذموم على ذلك كان لابد من السؤال على الدليل، كان لا بد من السؤال لماذا نتبعكم على هذا الضلال؟ على هذا الشرك؟

إياك أن تكون ممن اتبعت آبائك وأجدادك على أمة {وَإِنَّا عَلَىٰٓ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} [الزخرف:٢٢] ويكون هذا أيضًا في العصبيات الجاهلية حتى لأهل الدين ممن يتبعون مثلا المذاهب الفقهية، أو يتبعون بعض المذاهب حتى في بعض الاجتهادات حتى في بعض الاجتهادات السياسية وغير ذلك، يقول: أنا أتبع فلان! ما الدليل على هذا الاجتهاد أنه صحيح؟

ليست القضية في أن تعرف أهل الحق، وإنما أن تتعرف إلى الحق، اعرف الحق تعرف أهله، ليس العكس، ليس أن تقول: هؤلاء هم أهل الحق وكفى؛ لا بل أولًا تعرف الحق، فإذا عرفت الحق من الباطل تدرك هل هؤلاء أهل حق أم أهل باطل؟

ولذلك قال: {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا} [مريم: ٤٣]

لماذا تتبعني؟ لأنني أدعوك إلى العلم، و ادعوك بعلم، أدعوك بدليل، وهذا إشارة إلى التابع توجيه للتابع وكذلك المتبوع، المتبوع هو الداعية، المتبوع هو الإمام، المتبوع هو العالم المصلح الداعية، طبعًا فضلًا عن الأنبياء والمرسلين.

فنحن نتبعهم في ماذا؟ إذا أردنا أن نكون متبوعين فلا نكون أئمة ندعوا إلى النار وإنما نكون أئمة ندعوا إلى الهدى فلابد من العلم.

أين العلم في قضيتك؟

هل القضية بالشهرة؟ هل القضية بلا معاني نجمك؟ هل القضية بالكاميرات؟ هل القضية بأن يكون اسمك له لايكات وتشيرهات وفيديوهات وغير ذلك؟ لا ليست هذه القضية.

القضية أن يكون معك الدليل، والبرهان، و أن تتعلم القرآن أية أية والحديث سنة النبيﷺ حديثًا حديثًا ومنازل السائرين إلى الله منزلة منزلة وخلقًا وسلوكًا، لا يغرنك كثرة الاتباع، لا يغرنك الشهرة، لا يغرنك الأضواء، لا يغرنك الكاميرات كل هذا لن يغني عنك من الله شيئا.

كنت تسوق الناس بالدليل والبرهان وعلى قدر ما معك من العلم تدلهم على الله بالعلم بالله والعلم بأمره فأنت على هدى بإذن الله عزوجل؛ القضية أنك لابد أن تزداد، لابد أن تتزود، لابد أن تنمو علميًا

حتى وإن كنت كبيرًا وإن كنت مشهورًا وقد شاب رأسك في طلب العلم وغير ذلك، مع المحبرة إلى المقبرة؛ قيل لعبدالله المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أكتبها بعد، وقال: قيل للإمام أحمد يا أبا عبدالله : إلى متى تطلب العلم؟ قال: مع المحبرة إلى المقبرة.

وقد قال النبيﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" رواه أحمد.

وقالﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "

وقالﷺ: "وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "

وقالﷺ: "فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ "

لماذا شبه العالم بالقمر ولم يشبه بالشمس؟ لأن الشمس نجم يشع نورًا، أما القمر فهو كوكب معتم، ومع ذلك هو يعكس نور الشمس وهكذا العالم نوره ليس من نفسه، وإنما نوره على قدر ما يعكس من أنوار الشريعة، وعلى قدر ما يتزود من أنوار الشريعة؛ النبيﷺ سراج منير كالشمس؛ لأن الله يوحي إليه تبارك وتعالى فأصبح مصدرًا للنورﷺ.

أنت أيها الداعية، أيها العالم، أيها المتبوع على قدر ما تتزود من هذا النور بدراسة كتاب الله وسنة رسول اللهﷺ، وتتعلم على قدر ما تتزود من هذا النور وتعكس أنوار الشريعة.

تعكس أنوار الشريعة للناس تعلمًا وتعليمًا ودراسةً ودلالةً على الله تبارك وتعالى، {يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا} [مريم: ٤٣]

القضية: ليست في كثرة الاتباع والأشياء، ليست في الشهرة والنجومية، إنما القضية في أننا نريد هداية الخلق ولا يكون ذلك إلا بالعلم بالله والعلم بأمر الله عزوجل فهذا توجيه للتابع ألا يتبع إلا على دليل، وتوجيه المتبوع ألا يدعو الناس إلا بالدليل وإلا بطريق العلم والبرهان.